

عفاف زريق في المنظر الملبد واوجاع فنانه مصابة بالوطن



تميل الى الفسحات
الدميمة عفاف زريق كما
الى العلامات التي بالكاد
تبصم مكانها. وتمر وما
كانت هنا على الورقة
المبللة بلطخات لونية
مثل العواطف واخبارها.
وكمن يحكي بالايماء اي
بالاشارات الخجولة اي
باللمسات الطرية، ترمي
ما تشعر به وما تتذكر
صوره على بياض تحمله
ظلال زمن مضي. او
ترتعي عاطفية وانما
تحت مراقبة العقل،
طليقة بما يكفي من
خيال وما يلزم من

من اعمالها : ابواب حلم.

انفعال، ترفرف لا تطير، او ترتمي وكما يقال بكل ثقل قلبها وفي قلبها حنين
اضاع جذوره، ترتمي على بقاع شبه ضائعة وفي حال عوم وكأنها تتأكل في
ضبابها، لكونها ابنة هجرتها قبل اثنتي عشرة سنة الى الولايات المتحدة عفاف
زريق، وكل هجرة انهزام! وكل رحيل باب على مجهول بين وجع مما كان واتبهار
بما الآن. وكان عفاف زريق تقف على ارضية سائلة، لا اطمئنان وكمن فقد
سلامته، ولا عزم وكمن خسر حيويته. وتشبه الفريق في ذاكرته ولذا ربما،
فضلت التصوير معظم الاحيان بالمواد المائية وعلى الورق وفي حال اندماج بسيط
مباشر والاخص تلقائي. والسلطة هنا للتعبير العفوية التي تجد طريقها اسهل
اكثر ان هي اعتمدت المواد السريعة التأثير بالماء. وكأنها تتمدد على سطوح
لتحكي الى من يلزم باسرار الوشوشة بالكلام المختصر، القصص التي تبدو دوماً
ذاتها ممما تعددت نسخها. والسطوح تروج بانفعالات بالكاد ترى لانعقادها على
مساحات داكنة هي الصدى التعبيري للحالات الكثيرة المناسبة في وجدان عفاف
زريق. والسطوح اماكن صنع انفجار الحنين في انسان متورط في ذاكرته.
والذاكرة باب غير محدود على بئر العواطف. والذاكرة اماكن وصور ولنا للذاكرة
اشكال وتشاكيل، وتزوي في اعمال عفاف زريق في مسرح بيروت(*) بشبه
بقايا لمجموعة عريضة من صفحات تبدو مبعثرة وكأنها تطفو على غير موعد
حيث لا ينتظرها احد. وتختار الرسامة لصفحاتها الحجم الصغير ويمنطق من
يخطط لمنمنمات. وللمعرض كما في مسرح بيروت، معنى الكتاب، كتاب من ٢٥
صفحة موزع على بابين، فصل "ابواب الحلم" من ١٥ صفحة وفصل "استذكار"
من ٢٠ صفحة.

ولكل من الفصلين طبيعته اي ان تشكيل كل منهما يبوح بمضمونه. وتعمل
عفاف زريق بروح من يكتب نصاً ادبياً ضمن دائرة الشعر، تتأني وكمن يدور
في ذاته! وفي حال استنفار عقلي كامل وكمن يراقب نفسه كي لا يفوته شيء
من نفسه. وعين متحفزة ويد دقيقة عفاف زريق، ويصب كل هذا الجهد في
حال رقيقة وناعمة وشفافة تترك الانطباع القوي بأننا امام عاطفة مجروحة
تتطهر. ولذلك ربما هذه الصدارة للماء في تركيب النصوص كما هذه الممارسة
للتجريب في البحث عن افضل سبل الصياغة! وكان طقوسية غير معلنة تمارسها
الفنانه وان بخفر هنا او بفجور هناك. وفي الاعمال مثل رغبة من اعماق الذاكرة
في استرجاع تفاصيل كانت، رغبة تظل بحسب ما يبدو في المعرض محدودة
وكانها لم تعط نفسها الادوات المفيدة كي تتبلور في لفة ومفردات تحيط بما
من كل الجهات. والاعمال تنمو كالتقاسيم على الحنين ذاته برغم توسعها على
ايقاعين، ايقاع خاص بكل من "ابواب الحلم" و"استذكار". والمجريات كمن يقف
امام قطعتين تشكيليتين يعاد انتاج كل منهما مراراً بتفاصيل مغايرة دون النظر
في بنية كل عمل، وينتقل المتلقي من حالة الى حالة في شبه رحلة احتفالية بين
اطياف وظلال تتوشح بالاسود رافعة شعارات الهجرة والغياب وكمن يقف على
باب زمن فات ويخشى الذهاب بعيداً في المنظر الملبد الذي يفتح عليه الباب.
والمنظر هذا لا يروي خبراً ولا يحكي سيرة او يرسم مذكرات، انه كالشعاع
حاضر في كل نص ومتحفز للظهور واهل لقول الاجواء التي فجأة تطل بعد نوم
طويل. والمنظر يشي بحال فنانه ويعلم انه مصاب بالوطن البعيد ويقدم نماذج
صريحة عن اوجاع في عفاف زريق ويعرف ببساطة مهنة وديعة تقليدية واضحة
ونظيفة معبرة ذات نبض وعصب وكافية لأن تقول العالم الداخلي لفنانه ترسم
بروح انبوية انيقة لطيفة جذابة.

نزيه خاطر

(*) ٢٥ قطعة مشغولة بالمواد المختلفة وعلى الورق وحجم صغير (٨,٥x٨). والمعرض حتى
٢٦ تشرين الاول ١٩٩٤. العنوان: عين المريسة، ت٤٤٩٨٨٨. الزيارة: كل الايام من الساعة
العاشرة الى العاشرة.